بحوث في اللغة العربية وآدابها: **نصف سنوية علمية محكمة لقسم اللغة العربية وآدابها بجامعة إصفهان**
العدد ٥ (خريف وشتاء ١٤٣٢ ـ ١٤٣٣ هـ. ق/ ١٣٩٠ هـ. ش)، ص ٢٣ـ ٣٩

بلاغة القسم في القرآن الكريم[١]

عبدالغني إيرواني‌زاده ❖
علي محمدرضائي ❖❖

الملخص

عالج المفسرون والبلاغيون أسلوب القرآن وبيانه وإعجازه، وبحثوا عما إذا كان بأسلوبه أو بمعناه أو بتناسقه ونظمه أو بمجموع ذلك؟
ومن جملة تناسق القرآن الكريم ونظمه الذي يدل على إعجازه أسلوب القسم المستخدم فيه. هذا التناسق أو النظم الذي نجده بين الأمر المقسم به، أو الأمور المقسم بها ـ إذا ما تعددت الأقسام في الآية الواحدة أو في الآيات المتعددة ـ والأمر المقسم عليه؛ وكذلك بين الأمر المقسم به أو الأمور المقسم بها و مضمون السورة. كما تحدثوا عن الهدف من قسمه ﷻ، أو بعبارة أخرى، لماذا يقسم ﷻ بالموجودات وهو مبدعها وموجدها!؟ وهو الحق كل الحق.
وهذا المقال يعالج بشكل مختصر النظم القرآني الموجود بين الأمر المقسم به والمقسم عليه والهدف أو الغاية منه في القرآن الكريم.

الكلمات الرئيسية: القرآن الكريم، البلاغة، القسم، الإعجاز

المقدمة

حينما تُذكر البلاغة، تخطر ببالنا الموضوعات البلاغية، ولكن بلاغة القَسَم تختلف عن التي نقرأها فى الكتب البلاغية؛ لأن ما يخصّ بها لا تذكر فى الكتب البلاغية، ولا تتطرق إليها الفنون البلاغية (أي المعاني والبيان والبديع) مع أنها ترتبط بعلم المعاني إلى حدّ ما. وليس في أبحاث البلاغيين ما يغني الباحث في القسم القرآني، وذلك أنهم لم يذكروا القسم إلا عرضاً في مواطن متعددة:

١. ذكرهم له في وسائل توكيد الخبر؛ لأن القسم يُعدّ واحداً من وسائل التؤكيد في بحث الخبر. ولم يزيدوا في هذا الباب على مجرد الذكر (التفتازاني، ١٣٠٨هـ، ٤٢ـ٤٨).

١ـ تاريخ التسلم: ١٣٨٩/٥/٢٤هـ. ش (٢٠١٠/٨/١٥م)؛ تاريخ القبول: ١٣٨٩/١١/٩هـ. ش (٢٠١١/١/٢٩م).
❖ أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة إصفهان.
❖❖ طالب الدكتوراة في فرع اللغة العربية وآدابها بجامعة الإمام الرضا عليه السلام الدولية.

٢. ذكرهم له في باب الإنشاء. وفي هذا الباب صرّحوا بخروج القسم من المباحث البلاغية ؛ لأنه من الإنشاء غير الطلبي، وهو إنشاء لم يلق من العناية ما لقيه الإنشاء الطلبي ؛ لمفارقته لما بني عليه الباب في الإنشاء الطلبي من خروج أساليبه إلى معان أخرى سياقية، وبالإضافة إلى ذلك أخرجوه من مباحثهم ؛ لأنهم يرون أنه من الأساليب التي نقلت من الخبر إلى الإنشاء، فاستغنوا عن بحثها في باب الإنشاء (السيوطي، ج ١٣٥٨ هـ، ص ٤٨).

٣. ذكر بعض البلاغيين القسم في (علم البديع) بوصفه من أبوابه التي يلجأ إليها الشعراء للتغزل أو المدح أو الفخر أو الهجاء أو... (البغدادي، محمد بن حيدر، ١٤٠١ هـ، ص ١٣٢ـ١٣٣ ؛ابن أبي الإصبع، ١٤٣٠ هـ، ص ١١٢).

أمّا بلاغة القرآن، فتقتضي أن تكون لأقسام القرآن نقاط بلاغية خاصة ؛ لأن القرآن نزل بلغة العرب، وهم أرباب الفصاحة والبلاغة يومذاك. فقد كانوا عبَدة البيان قبل أن يكونوا عبدة الأوثان. في هذه الظروف أيد الله نبيه بمعجزة توافق عصره: أيّده بالقرآن الكريم «المعجزة الخالدة»، وهذا الكتاب ذروة الفصاحة والبلاغة. وقد تحدّى به نبينا ﷺ العربَ، بل العالم كلّه، إنسهم وجنهم، على مدى الدهر أن يأتوا بمثله ؛ فعجزوا ولم يستطيعوا الإتيان بمثله ؛ كما قال الله تعالى: ﴿**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً**﴾ (الإسراء ١٧ : ٨٨).

إنّ السؤال الذي يطرح نفسه، هو: بأي شيء من القرآن الحكيم تحدّى نبيّنا الإنس والجن؟ لاشك أنه [تحدّاهم بإعجازه البلاغي ؛ لأن نظم القرآن الكريم أو بلاغته أمرٌ فوق الطبيعة الإنسانية، وفوق ما وصل أو ما يتوصل إليه الإنسان من أسلوب الكلام. ومن أظهر الفروق في أنواع البلاغة في القرآن الكريم والبلاغة الموجودة في كلام البلغاء أن نظمه يقتضي كل ما فيه اقتضاءً طبيعياً، فكأنما البلاغة في القرآن إنما هي وجه من وجوه نظم حروفه، بخلاف ما نراه من كلام البلغاء. فالحرف الواحد في القرآن معجز في موضعه ؛ لأنه متماسك بحروف الكلمة التي هو فيها، كي يشدّها بكلمات الآية التي هي فيها، وهذه بدورها تأخذ بعناق الآيات الأخرى التي تلائمها في المعنى. وهذا هو السر الموجود في إعجاز القرآن إعجازاً أبدياً. وبعبارة أخرى، كلام القرآن الكريم فريد في نوعه من حيث التركيب والبلاغة والمعنى. فصار أساس البلاغة عند العرب، ثم استُنبطت منه قوانين علم البلاغة.

إن الّذين ألفوا في بلاغة القرآن من علماء البلاغة واللغة لم يبسطوا القول في الإبانة عن بلاغة القسم ومكانته البديعة في القرآن، وما «ظاهرة القسم في القرآن الكريم» إلا ضرب من البيان الفائق والإعجاز البلاغي الرائع.

أما الذين أفردوا أقسام القرآن بالتأليف، فأوّلهم هو شمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن القيّم الجوزية (المتوفّى ٧٥١هـ)، ثمّ جمع السيوطي أقسام القرآن وجعلها نوعاً من أنواع علومه، فبحث عنها بحثاً موجزاً لا يتجاوز خمس صفحات. وفى زمننا المعاصر كتب كثير من دارسي القرآن حول أقسام القرآن. ومن جملة هذه البحوث: *أسلوب القسم واجتماعه مع الشرط في رحاب القرآن الكريم* لأبي القاسم العون، *والأقسام فى القرآن الكريم* لجعفرالسبحاني. و*تحليلى بر سوگندهاى قرآن* لمحمد فاكر الميبدى، و*پژوهشى در سوگندهاى قرآنى* لفريبا جنارى.

على الرغم من كل هذه البحوث، فإن نسبة الكتب أو المقالات الخاصة ببلاغة الأقسام القرآنية حتى الآن نسبة ضئيلة، ولم يتعرّض لها أكثر المفسّرين، مما أهملت في كثير من التّفاسير. وهذا هو الأمر الذي حدا بنا إلى أن نتابع هذه الظاهرة البيانية القرآنية الرائعة.

إن هذا السرّ الإعجازي جدير بإلقاء الضوء عليه ليتضح معناه من حيث الهدف والمرمى. هذا بالإضافة إلى أن نفسها هي ظاهرة جميلة تسترعي الانتباه، وتلفت النظر؛ لأن الله تعالى يقسم بمخلوقاته: كالقرآن، والسماء والأرض، والشمس والقمر، والكوكب، والتين والزيتون، والجبل، وغيرها.

ثم لم أجد في كتب البلاغة ما أسعفنى في مادة البحث، ويقلّ أو يندر البحث في بلاغة القسم في المراجع البلاغية القديمة. وكان قصدنا البحث عن القيم البلاغية في تفسير العلماء لآيات القسم، لما لذلك من أهمية في الحكم على الإعجاز القرآني، ولكن يمكننا الحصول على إشارات متفرقة فى بعض التفاسير، والكتب البلاغية والأدبية.

وقد عقد الفراهي في كتابه *إمعان في أقسام القرآن* فصلاً موجزاً مفيداً ذكر فيه ما في القسم من اللطائف البلاغية، وسنشير إليه في مواضع من المقال.

أما في هذا المقال، فنتحدث أولاً عن القسم في القرآن كمقدمة للبحث قبل أن نخوض في صلب الموضوع الذي يشمل بحثين مهمّين:

الأوّل: اتساق الأقسام القرآنية وتناسبها والصلة فيما بينها؛

والثاني: أهداف الأقسام ووظائفها.

القسم في القرآن الكريم

افتتح كثيراً من السور القرآنية بأسلوب القسم، وأورد أقساماً في ثنايا عدد غير قليل منها. يتكوّن أسلوب القسم من جملتين: جملة القسم، وجملة جواب القسم. جملة القسم قد تكون بفعل من الأفعال المختصة بالقسم؛ نحو: أقسم وأحلف. ومن هذا الضرب في القرآن الكريم ـ وهو كثير ـ قوله تعالى: ﴿**لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيامَةِ**﴾ (القيامة ٧٥: ١). فالفعل المختص بالقسم هنا هو «أقسم»، والحرف الذي عدّى هذا الفعل إلى المقسم به هو «الباء»، والاسم المقسم به «يوم القيامة».

و قد يتكوّن القسم من المبتدإ والخبر، وذلك بذكر اسم من الأسماء المختصة بالقسم، وهي: «ايمُن الله»، و«لَعَمرُ الله»، و«لَعَمرُك»؛ نحو قولهم: «ايمُن الله لأفعلنّ»، و«لَعَمرُ الله لأذهبنّ»، و«لَعَمرُك إنه الحق»، على حذف الخبر في جميع ذلك، والتقدير: أيمن الله قسمي أو المقسم به، وكذا في لعمر الله ولعمرك (سيبويه، ١٩٧٧ م، ص ٥٠٢).

والآن نبحث عن أركان أسلوب القسم موحداً ومجملاً:

١. الْمُقسِم

المراد منه الذي صدر منه القسم. وهو في *القرآن الكريم* على خمسة أنواع:

١,١. أقسام صدرت من الله ابتداءً وانشاءً. وقد ورد ذلك في سبع وثلاثين آية مكية، وفي آية مدنية واحدة؛ نحو: ﴿**وَالتِّينِ وَالزَّيتونِ**﴾ (التين ٩٥: ١)؛

٢,١. أقسام علّمها الله ﷻ رسوله وأمره بها. وقد ورد ذلك في آيتين مكيتين، وآية مدنية واحدة؛ نحو قوله : ﴿**وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ**﴾ (يونس ١٠: ٥٣)؛

٣,١. أقسام حكاها القرآن عن الأنبياء والمؤمنين. وقد ورد ذلك فى سبع آيات مكية، وأربع آيات مدنية؛ نحو قوله : ﴿**وَتَاللهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ**﴾ (الأنبياء ٢١: ٥٧)؛

٤,١. أقسام حكاها القرآن عن المنافقين والكافرين. وقد ورد ذلك في ثلاث عشرة آية مكية، و آيتين مدنيتين؛ نحو قوله ﷻ: ﴿**وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللهُ مَنْ يَمُوتُ بَلى وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً وَلكِنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يَعْلَمونَ**﴾ (النحل ١٦ : ٣٨)؛

٥,١. أقسام حكاها القرآن عن ابليس. وقد ورد ذلك في أربع آيات؛ نحو قوله ﷻ: ﴿**قالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعينَ**﴾ (النحل ١٦ : ٨٢).

يمكننا القول مما سبق، أن القسم إما صريح، وهو ما ذُكرت فيه جملة القسم. وهو ينقسم إلى جملتين ـ كما جاءت فى الأمثلة ـ : الفعلية والاسمية. وإما مضمر، وهو ما لم يذكر معه القسم صريحاً أو ظاهراً. وهذا القسم نوعان هما:

أ. ما دلّت عليه اللام، وهو على ثلاثة أقسام:

أن تكون اللام مقترنة بأداة الشرط، أو مقترنة بـ«قد»، أو مقترنة بفعل مضارع مؤكد بالنون. قال ابن هشام:

وحيث قيل: لأفعلنّ، أو لقد فعل، أو لئن فعل، ولم يتقدم جملة القسم، فثم جملة قسم مقدّرة؛ نحو: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذاباً شَديداً﴾ (النمل ٢٧ : ٢١)، ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ﴾ (آل عمران ٣ : ١٥٢)، ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ﴾ (الحشر ٥٩ : ١٢)

(ابن هشام، د ت، ص ٣٨٧).

ب. ما كانت ألفاظه جارية مجرى القسم، أو دلّ عليه المعنى. قال ابن يعيش: «**واعلم أن من الأفعال أفعالاً فيها معنى اليمين، فتجري مجرى أحلف، ويقع الفعل بعدها كما يقع بعد والله. وذلك نحو: أشهد وأعلم وآليت**» (ابن يعيش، ب د ت، ص ٩١).

وقد وردت هذه الأفعال التي قال عنها النحاة والمفسرون إنها تجري مجرى اليمين في مواضع متعددة في الذكر الحكيم، ولا نريد الخوض فيها؛ لأن هذه المقالة مبنية على الأقسام الصريحة و المقسِم فيها الله ﷻ.

٢. الْمُقسَم به

أما المقسم به فهو ـ كما يرى النحاة ـ كل اسم يُذكر ليُعظَّم بالقسم. قال الزمخشري: «**والاسم الذي يَلصَق به القسم ليعظَّم به ويفخَّم هو المقسَم به**» (الزمخشري، ب ١٣٩٧ هـ، ص ٣٤٤). ولذلك كان المقسم به ـ كما يرى ابن يعيش ـ كل «**اسم من أسماء الله تعالى وصفاته ونحو ذلك مما يعظم عندهم؛ نحو قوله:**

فأقسمتُ بالبيت الّذي طاف حوله ... رجالٌ بَنَوه من قريشٍ وجُرهُم

[زهير، ١٣٨٤ هـ، ص ٧٨]

لأنهم كانوا يعظّمون البيت» (ب د ت، ص ٩٣). وكقوله تعالى: ﴿**وَالتّينِ وَالزَّيْتونِ**﴾ (التين ٩٥ : ١).

وقد يحذف المقسم به والأداة ويكتفي بذكر فعل القسم. قال ابن يعيش: «**وربما حذفوا المقسَم به، واجتزءوا بدلالة الفعل عليه، ... وإنما حذفت لكثرة الاستعمال وعلم المخاطب بالمراد**» (ب د ت، ص ٩٤).

وقد حذف المقسم به والأداة في الذكر الحكيم في عشرة مواضع. من ذلك قوله تعالى: ﴿**وَقاسَمَهُما إِنّي لَكُما لَمِنَ النّاصِحينَ**﴾ (الأعراف ٧ : ٢١). وقوله تعالى: ﴿**وَيَوْمَ تَقُومُ السّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ ما لَبِثُوا غَيْرَ ساعَةٍ كَذلِكَ كانُوا يُؤْفَكُونَ**﴾ (الروم ٣٠ : ٥٥). وقوله تعالى: ﴿**وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ (المجادلة ٥٨ : ١٤).

٣. الْمُقسَم عليه

وهو الذي يراد بالقسم توكيده وتحقيقه، فلابد أن يكون مما يحسن فيه ذلك؛ كالأمور الغائبة والخفية إذا أقسم على ثبوتها. وجواب القسم يُذكر تارة ـ وهو الغالب ـ ، وتارة يُحذف؛ كما يُحذف جواب «لو» كثيراً. فحذف جواب القسم كقوله: ﴿**وَالْفَجْرِ ۞ وَلَيالٍ عَشْرٍ ۞ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۞ وَاللَّيْلِ إِذا يَسْرِ ۞ هَلْ فِي ذلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ**﴾ (الفجر ٨٩: ١ـ٥). فالمراد بالقسم أن الزمان المتضمن لمثل هذه الأعمال أهلٌ أن يُقسم الرب ﷻ به، فلا يحتاج إلى جواب. وقيل: الجواب محذوف؛ أي: لَتُعَذَّبُنَّ يا كُفّارُ. وقيل: مذكور، وهو قوله: ﴿**إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصادِ**﴾ (الفجر ٨٩: ١٤).

وقد يُحذف الجواب لدلالة المذكور عليه؛ كقوله ﷺ: ﴿**لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيامَةِ ۞ وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوّامَةِ**﴾ (القيامة ٧٥: ١ـ٢)، فجواب القَسَم محذوف دلّ عليه قوله بعدُ: ﴿**أَ يَحْسَبُ الْإِنْسانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظامَهُ**﴾ (القيامة ٧٥: ٣). والتقدير: لَتُبعَثُنَّ ولَتُحاسَبُنَّ.

وجملة القسم إنشائية، أما الجواب فلا يكون إلا خبراً عند كثير من النحاة؛ لأن المراد توكيده بالقسم، والقسم وجوابه معاً في معنى الخبر. وإنما وُصفت جملتا القسم بأنهما خبريتان؛ لأنهما إذا اجتمعتا، دلّتا على ما يحتمل الصدق والكذب. فإذا قلت: «والله لَيقومَنّ زيدٌ»، احتمل هذا الكلام أن يكون صادقاً وأن يكون كاذباً (ابن يعيش، ب د ت، ص ٣٤٧).

٤. المخاطب/الْمُقسَم له

يتنوع المخاطب أو المقسم له ـ الذي خوطب بالقسم ـ في أقسام القرآن على النحو التالي:

١,٤. قسم خوطب به الله ﷻ؛

٢,٤. قسم خوطب به الرسول ﷺ؛

٣,٤. قسم خوطب به الناس جميعاً مؤمنهم وكافرهم؛

٤,٤. قسم خوطب به الكافرون.

٥. حروف القسم:

للقسم أدوات؛ منها: الباء، والواو، والتاء، واللام ، ومِن. قال سيبويه: «**وللقسم والمقسَم به أدوات في حروف الجر، وأكثرها الواو، ثم الباء، يدخلان على كل محلوف به**». (١٩٧٧م، ص ٤٩٦). قال الخليل: «**إنما تجيء بهذه الحروف؛ لأنك تضيف حِلفك إلى محلوف به، كما تضيف "مررت به" بالباء، إلا أن الفعل يجيء مضمراً في هذا الباب**» (المصدر نفسه، ص ٤٩٧).

وكثيراً ما يستغنى عن فعل القسم بهذه الحروف ـ وهو ما أشار إليه الخليل في قوله: «**إلا أن الفعل يجيء مضمراً في هذا الباب**» ـ لعلم السامع به ودلالة المعنى عليه. فإذا قلت: بالله لأفعلنّ، ووالله لأفعلنّ، وتالله لأفعلنّ، كان ذلك على إضمار «أَحلِفُ»، و"أُقسِمُ» (المبرد، د ت، ص ٣١٨).

ولم يرد في القرآن الكريم من أدوات القسم إلا الثلاثة الأولى؛ أي: «الباء» و«الواو» و«التاء»، ولم ترد «اللام» أو «من» للقسم في القرآن الكريم (ابن يعيش، آ د ت، ٣٣ـ٣٤، و ب د ت، ٩٩ـ١٠١).

الأول. «الباء»: فهي الأصل في أدوات القسم. وهي حرف جر يأتي لأربعة عشر معنى ذكرها ابن هشام. وقال: «**الثاني عشر. القسم، وهو أصل أحرفه**» (د ت، ص ١٤٣). ولا يجوز أن يظهر فعل القسم إلا مع الباء. فتقول: أُقسِم بالله لأفعلنّ، وأَحلِف بالله لأفعلن، وعليه جاء قوله ﷺ: ﴿**لا أُقْسِمُ بِهذَا الْبَلَدِ**﴾ (البلد ٩٠: ١). وإنما جاز ذلك مع الباء وحدها؛ لأنها الأصل في تعدية الفعل إلى ما

بعده، وليس كذلك الواو والتاء؛ ولذلك يجب أن يحذف الفعل معهما. فلا يقال: أُقسِم والله لأفعلنّ، ولا: أُقسِم تالله لأحضرنَّ (ابن يعيش، ب د ت، ص ١٠١).

ومما يؤيد أن الباء أصل حروف القسم:

١. جواز إثبات فعل القسم وفاعله معها؛ كقوله : ﴿**وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللهُ مَنْ يَموتُ**﴾ (النحل ١٦: ٣٨). أو حذفهما؛ كما في قوله تعالى: ﴿**قالَ فَبِما أَغْوَيْتَني لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِراطَكَ الْمُسْتَقيمَ**﴾ (الأعراف ٧: ١٥).

٢. دخولها على المظهر والمضمر، ولا يدخل من حروف القسم غيرها على المضمر. ومن شواهد دخولها على الاسم الظاهر قوله : ﴿**قالُوا تَقاسَمُوا بِاللهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ**﴾ (النمل ٢٧: ٤٩). أما دخولها على المضمر، فلا شاهد له في القرآن الكريم، وهو كقولك: «أُقسِم به إنّي لَصادق».

الثاني. «الواو»: فهي أكثر حروف القسم استعمالاً. وهي تدخل على كل مقسم به ظاهر؛ نحو قوله : ﴿**وَاللهِ رَبِّنا ما كُنّا مُشْرِكينَ**﴾ (الأنعام ٦: ٢٣)؛ وقوله تعالى: ﴿**وَالتّينِ وَالزَّيْتونِ**﴾ (التين ٩٥: ١).

وتأتي «الواو» لعدة معان. قال ابن هشام: «**السادس والسابع. واوان ينجرّ ما بعدهما. إحداهما: واو القسم، ولا تدخل إلا على مظهر، ولا تتعلق إلا بمحذوف؛ نحو: ﴿وَالْقُرْآنِ الْحَكيمِ﴾ (يس ٣٦: ٢). فإن تلتها واو أخرى، نحو: ﴿وَالتّينِ وَالزَّيْتونِ﴾ (التين ٩٥: ١). فالتالية هي واو العطف**» (ابن هشام، د ت، ص ٤٧٣). ولا تستعمل الواو فيما سمي عند بعض النحاة «القسم الاستعطافي». فلا يقال: والله أخبرني، كما يقال: بالله أخبرني. (الرضي، د ت، ص ٣٣٤).

الثالث. «التاء». قال ابن هشام: «**التاء المفردة: محرَّكة في أوائل الأسماء، ومحرَّكة في أواخرها، ومحرَّكة في أواخر الأفعال، ومسكّنة في أواخرها. فالمحرّكة في أوائل الأسماء: حرف جر معناه القسم**» (د ت، ص ١٥٧).

والتاء تختص بلفظ الجلالة، وذلك لكثرة الحلف به؛ مثل قوله تعالى: ﴿**تَاللهِ لَأَكيدَنَّ أَصْنامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرينَ**﴾ (الأنبياء ٢١: ١٥٧). قال الزمخشري: «**التاء فيها زيادة معنى، وهو: التعجب، كأنه تعجب من تسهّل الكيد على يده وتأتّيه؛ لأن ذلك كان أمراً مقنوطاً منه لصعوبته وتعذّره**» (آ ١٣٩٧هـ، ص ٥٧٦).

وحكي عن الأخفش دخولها على «الرَّبّ» نحو: «تَرَبّي» (الرضي، د ت، ص ٣٣٤). وقيّده بعضهم بإضافته إلى الكعبة نحو: «تَرَبِّ الكعبةِ»، وردّه المرادي؛ وهي كالواو في حذف فعل القسم معها، وفي كونها لا تستعمل في الاستعطاف، وفي عدم الجواز دخولها على المضمر (ابن يعيش، ب د ت، ص ١٠١).

كل ما سبق كان مقدمة لما يجيء فيما بعد.

اتساق الاقسام القرآنية وتناسبها والصلة فيما بينها

التناسق أو التناسب أصل من أصول جمال البيان، وإن مصطلح التناسب مصطلح بلاغي يحمل الدلالة على حسن العلاقة القائمة بين الأجزاء والعناصر التي يتألف منها المقطع من الكلام، أو السورة من القرآن الكريم؛ حيث اعتبره علماء البيان من شروط بلاغة الكلام. وفي هذا المجال يقول الزركشي:

واعلم أن المناسبة علم شريف تحزُر به العقول، ويعرف به قدر القائل فيما يقول ...، ولهذا قيل: المناسبة أمر معقول. إذا عرض على العقول، تلقّته بالقبول؛ وكذلك المناسبة في فواتح الآي وخواتمها ومرجعها ـ والله أعلم ـ بمعنى ما رابَط بينهما عامٌ أو خاصٌ عقلي أو حسّي أو خيالي وغير ذلك من أنواع العلاقات، أو التلازم الذهني كالسبب والمسبَّب والعلة والمعلول والنظيرين والضدين ونحوها، أو التلازم الخارجي كالمرتب على ترتيب الوجود الواقع في باب الخبر. وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض. فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء» (الزركشي، آ ١٩٧٧ م، ص ٣٥).

إن التناسب في البيان القرآني موضوع جليل ودقيق في آن واحد. جليل لأنه يبحث ويتناول وجهاً لطيفاً من أوجه البلاغة القرآنية، ودقيق لأنه متشعب الأطراف يستلزم معرفة واسعة باللغة العربية وخصائصها المعجمية والصرفية والصوتية والتركيبية، وهذه معرفة تقتضي الإحاطة بعلوم اللغة كلها وفقهها. يقول القاضي أبوبكر الباقلاني:

ثم انظر آية آية وكلمة كلمة، هل تجدها كما وصفنا من بديع النظم وعجيب الرّصف؟! فكل كلمة لو أفردت، كانت في الجمال غاية، وفي الدّلالة آية. فكيف إذا قارنَتها أخواتِها، وضامَّتها من ذواتها مما تجري في الحسن مجراها، وتأخذ معناها؟! ثم من قصة إلى قصة، ومن باب إلى باب، من غير خلل يقع في نظم الفصل إلى الفصل، وحتى يصور لك الفصل وصلاً ببديع التأليف وبليغ التنزيل.

(الباقلاني، ١٩٨١م، ص ١٩٠).

إننا نجد هذا التناسب أو التناسق بشكل واضح على ثلاثة أوجه في أقسام القرآن:

١. التناسب أو التناسق بين الأمور المقسم بها

بلاغة القرآن تقتضي أن يكون هناك تناسب بين الأقسام التي وردت في سورة واحدة؛ أي: حينما يقسم الخالق ﷻ بأمور متعددة في آية واحدة أو في آيات متوالية، يجب أن يكون هناك تناسب أو علاقة بين هذه الأقسام؛ حيث لا ينفك بعضها عن بعض. ونحن هنا نضع بعض أقسام القرآن على طاولة البحث، لنشاهد هذا التناسب أو العلاقة فيما بينها.

سورة البلد: ﴿**لا أُقْسِمُ بِهذَا الْبَلَدِ ۞ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهذَا الْبَلَدِ ۞ وَوالِدٍ وَما وَلَدَ ۞ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسانَ فِي كَبَدٍ**﴾ (البلد ٩٠: ١ـ٤). نجد أن الله ﷻ قد أقسم في سورة البلد بأربعة أمور: بالبلد، وبالنبي الذي حلّ فيه، وبوالد، وبما ولد.

قبل تبيين التناسب بين هذه الأقسام الواردة في هذه السورة من الضروري تبيين وجه دلالة «لا أقسم»، فهو ما لفت العلماء قديماً وحديثاً إلى تأمل سرّ هذا التركيب في القسم القرآني؛ فاستأثرت المواضع التي ورد فيها هذا النسق بجلّ اهتمامهم؛ ولذلك اتسع الكلام وتشعبت الآراء في دلالة «لا أقسم» خاصة، وفي تفسير مجيء «لا» قبل القسم عامة.

ومجمل آرائهم تؤكد على القول أن القسم في هذه الآيات مقصود ومراد، وهو ما ذهب إليه أكثر العلماء، وليس المراد بالنفي قبل القسم نفي وقوع القسم؛ لأن في القرآن نفسه ما يؤكد ذلك، وهو قوله تعالى: ﴿**فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ ۞ وَ إِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۞ إِنَّهُ لَقُرآنٌ كَرِيمٌ**﴾ (الواقعة ٥٦: ٧٥ـ٧٧)، ويكفي هذا لإبطال الرأي القائل بنفي القسم في الحقيقة.

وأما تفسير سورة البلد، فيقول الطباطبائي في تفسير هذه الأيات:

يجب أن يكون هناك نوع من التناسب والارتباط بين (هذه الأمور) المقسم بها، يستدعى أن يكون المراد بوالد وما ولد: هما إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وهما السّببان الأصليان لبناء هذا البلد، وهما البانيان لبيت الله الحرام. قال الله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْراهِيمُ الْقَواعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْماعِيلُ﴾ (ب ١٣٩٧هـ، ص ٤١٩).

إنه ﷻ في سورة القلم يقول: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَما يَسْطُرُونَ﴾ (القلم ٦٨ : ١). فهو ﷻ يقسم بنون، وبالقلم، وبالكتابة، والعلاقة واضحة بين الحرف (نون) بوصفه أحد الحروف الأبجديّة وبين القلم، والكتابة (قطب، ب ١٩٦٧م، ص ٢١٩). أما الصّلة بين المقسَم به والمقسم عليه، فهي أن الكتابة آية العقل والدراية؛ حلف ﷻ بها لغاية نفي الجنون عن النبي ﷺ (السبحاني، ١٣٨٧هـ.ش، ص ١٠٨). و مثالاً آخر في سورة التين:

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۞ وَطُورِ سِينِينَ ۞ وَهذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۞ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۞ ثُمَّ رَدَدْناهُ أَسْفَلَ سافِلِينَ ۞ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۞ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ۞ أَلَيْسَ اللّهُ بِأَحْكَمِ الْحاكِمِينَ﴾.

يعتقد أكثر المفسرين بأن المراد من «**التّين والزّيتون**» ـ اللذين أقسم بهما ﷻ ـ الفاكهتان المعروفتان، وقد أقسم بهما تعالى لِما فيهما من الفوائد الجمّة والخواص النافعة، ولكن ما المناسبة أو العلاقة بين ذكر «**التّين والزَّيتون**» وبين «**طورِ سينينَ**» و«**البلدِ الأمينِ**»؟ الظاهر كما يبدو أنه ليس هناك أية علاقة بين هذه المقسمات بها، ولكن كما مرّ آنفاً، حينما يقسم ﷻ بأمور متوالية، يجب أن تكون بين هذه الأمور مناسبة خاصة أو علاقة وثيقة، ولكننا إذا دققنا النظر في كلام بعض المفسرين حيث يقول: «**إن المراد بالتّين الجبل الّذي عليه دمشق، وبالزّيتون الجبل الّذي عليه بيت الْمَقدس. ولعلّ إطلاق اسم الفاكهتين على الجبلين لكونهما مَنبَتَيهما؛ ولعلّ القسم بهما لكونهما مبعثي جمّ غفير من الأنبياء**» (قطب، ب ١٩٦٧م، ص ٦٠٨ـ٦٠٩)، وجدنا أن هناك مناسبة بين المقسمات بها.

فإن هذا التفسير لكلمتي التين والزيتون وإن كان بعيداً عن ظاهر الآية، لكنه يتناسب مع القسَم الثالث أعني: «**وَطورِ سينينَ**» (الجبل الّذي كلّم الله تعالى فيه موسى ﷺ). ويتناسب أيضا مع القَسم الرابع؛ أي: «**وهذا البلد الأمين**» (مكة المكرّمة)؛ لأن الأمن خاصّ بها، كما في دعاء إبراهيم ﷺ على ما حكى الله عنه: ﴿**رَبِّ اجْعَلْ هذا بَلَداً آمِناً**﴾ (البقرة ٢ : ١٢٦)، و﴿**رَبِّ اجْعَلْ هذَا الْبَلَدَ آمِناً**﴾ (إبراهيم ١٤ : ٣٥)؛

٢. الصّلة والعلاقة بين المقسَم به والمقسَم عليه

إنّ أكثر المفسرين حينما يتطرّقون إلى الأقسام الواردة في القرآن الكريم يركّزون أكثر جهودهم على بيان ما للمُقسَم به من أسرار ورموز كالشّمس والقمر، ويغفلون عن البحث في بيان الصلة والعلاقة بين المقسم به والمقسم عليه. فعلى سبيل المثال: لماذا أقسم ﷻ في تحقيق قوله: ﴿**إِنَّ الْإِنْسانَ لَفِي خُسْرٍ**﴾ بقوله: ﴿**وَالْعَصْرِ**﴾، ولم يقسم بالشّمس أو بالقمر؟ (وسيأتي الجواب عن ذلك فيما بعد). هذا هو المهم في بيان أقسام القرآن، ولكن كثيراً من المفسرين لم يتطرقوا إليه في تفاسيرهم. وإذا رجعنا إلى الأقسام القرآنية وأجوبتها، وجدنا ملائمة شديدة الصلة بينهما، وأدركنا أن المناسبة قوية بين المقسم به والمقسم عليه.

في هذا المطاف نودّ أن نشير إلى الصلة فيما بين بعض أقسام القرآن المجيد والمقسم عليها فيها. فمثلاً في سورة الذاريات يقول ﷻ: ﴿**وَالسَّماءِ ذاتِ الْحُبُكِ ۞ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ**﴾ (الذاريات ٤٧ : ٧ـ٨)، يذكر العلّامة الطباطبائي لـ «حُبُك» ثلاثة معانٍ:

الأوّل. الحسن والزّينة؛ أي: أُقسم بالسّماء ذات الحسن والزّينة؛ كقوله: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا بِزِينَةٍ الْكَواكِبِ﴾. والثاني. الخَلق المستوي؛ أي: أُقسم بالسماء ذات الخلق المستوي؛ كقوله: ﴿وَالسَّماءَ بَنَيْناها بِأَيدٍ﴾ [الذاريات ٤٧ : ٥١]. والثالث. الطريقة كالطرائق الّتي تظهر على الماء إذا تكسر من مرور الرّياح عليه، أو كالطرائق الّتي ترى في السّماء. ولعلّ المعنى الثالث أظهر؛ لمناسبة جواب القسم الّذي هو اختلاف النّاس وتشتّت طرائقهم (ب ١٣٩٧هـ، ص ٣٩٧).

وصاحب *الكشاف* يقول أيضاً:

﴿إِنَّكُمْ لَفي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾ قولهم في الرسول ﷺ ساحر، وشاعر، ومجنون؛ وفي القرآن، شعر وسحر، وأساطير الأولين. وعن الضحاك: قول الكفرة لا يكون مستوياً، إنما هو متناقض مختلف (ب ١٣٩٧هـ، ص ١٤).

ومثال آخر في هذا المجال سورة التين:

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۞ وَطُورِ سِينِينَ ۞ وَهذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۞ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۞ ثُمَّ رَدَدْناهُ أَسْفَلَ سافِلِينَ ۞ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۞ فَما يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ۞ أَلَيْسَ اللّهُ بِأَحْكَمِ الْحاكِمِينَ﴾.

المراد من خلق الإنسان في أحسن تقويم هو التقويم المعنوي؛ ثمّ ردّه إلى أسفل سافلين هو انحطاطه إلى الشّقاء والخسران؛ وأمّا وجه الصلة، فلو قلنا إن المراد بـ «التّين» الجبل الّذي عليه دمشق، وبـ «الزّيتون» الجبل الّذي عليه بيت المقدس، وهما مبعثا جمّ غفير من الأنبياء، فالصلة واضحة؛ لأن هذه الأراضي أراضي الوحي والنبوّة. فقد أوحى الله ﷻ إلى أنبيائه في هذه الأمكنة أن أخرِجوا الناس من الظلمات إلى النّور، واهدوهم إلى أحسن تقويم، وصدّوهم عن التّردّي إلى أسفل سافلين (قطب، ب ١٩٦٧م، ص ٦٠٩؛ الطباطبائي، ب ١٣٩٧هـ، ص ٤٥٥).

يقول فاضل السامرائي في كتابه *التعبير القرآني*:

وعلى هذا يكون الله قد أقسم على خلق الإنسان وتعذيبه وإثابته بأمكنة ثلاثة، هي مظاهر أنبيائه ورسله أصحاب الشرائع العظام المعروفة. أقسَم بأرض بيت المقدس مظهر رسوله وكلمته وروحه ـ عيسى بن مريم ـ، وفيها نزل الإنجيل عليه؛ ثم أقسم بالجبل الذي كلّم الله موسى عليه تكليماً، وناداه من جانب الطور الأيمن من البقعة المباركة من الشجرة التي فيه، أن اذهب إلى فرعون إنه طغى؛ ثم أقسم بالبلد الأمين مظهر خاتم الأنبياء والمرسلين. فتدرّج من التين والزيتون، إلى طور سينين، إلى بلد الله الأمين، فختم بموطن الرسالة الخاتمة، أشرف الرسالات (١٩٨٩م، ص ٢٩٩).

يقول ابن القيّم الجوزيّة في كتابه *التبيان في أقسام القرآن*:

أقسم بهذه الأمكنة الثلاثة التي هي مهبط الوحي والرسالة، على أن ما سيلاقيه من ثواب أو عقاب إنما هو نتيجة إيمانه، أو كفره وطغيانه، بعد أن أرسل رسلاً مبشّرين ومنذرين. وكأنه ـ جلّ شأنه ـ يقول: «هأنذا قد أرسلت لكم الرسل، فأناروا لكم الطريق، وميّزوا لكم الرشد من الغي. فإن عصيتم، فلكم أسفل سافلين؛ وإن أطعتم، فلكم أجر غير ممنون (١٩٣٣م، ص ٥٥).

فإذا قلنا إنّ المراد من «**التّينِ والزَّيتونِ**» الفاكهتان المعروفتان، فإن هذه الأقسام الأربعة تتناسب مع المقسم عليه؛ لأن التّين والزّيتون هما حاجة الجسم، والقسم الثالث والرابع حاجة الروح؛ لأن المقسم عليه هو: ﴿**لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ**﴾.

ومثال ثالث: قول الله ﷻ: ﴿**وَالضُّحى ۞ وَاللَّيْلِ إِذا سَجى ۞ ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَما قَلى**﴾ (الضحى ٩٣: ١ـ٣).

يقول السيوطي مجلّياً التلاؤم بين هذا القسم وجوابه:

أقسم ﷻ بآيتين عظيمتين من آياته وهما: الضحى، والليل إذا سجى. وتأمل مطابقة هذا القسم ـ وهو نور الضحى الذي يوافي بعد ظلام الليل ـ وبين المقسمَ عليه، وهو نور الوحي الذي وافاه بعد احتباسه عنه حتى قال أعداؤه: ودّعَ محمداً ربُّه. فأقسم بضوء النهار بعد ظلمة الليل على ضوء الوحي، ونوره بعد ظلمة احتباسه واحتجابه (السيوطي، ج ١٣٥٨هـ، ص ٥١).

ومثال أخير قوله ﷻ: ﴿**وَالْعَصْرِ ۞ إِنَّ الْإِنسانَ لَفي خُسْرٍ ۞ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ وَتَواصَوْا بِالْحَقِّ وَتَواصَوْا بِالصَّبْرِ**﴾ (العصر ١٠٣: ١ـ٣).

أقسم ربّنا ﷻ بكلّ الأوقات في كتابه المجيد. فقد أقسم ﷻ بالفجر، والصبح، والضحى، والعصر، والليل؛ والقسم بالوقت ـ كما يبدو ـ إنّما جاء ليؤكد على أهمية الوقت؛ وقد قال الإمام عليّ عليه السلام: «**إضاعة الفرصة غصّة**» (الشريف الرضي، ١٣٨٠هـ. ش، ص ٦٥٢).

أمّا في هذه السورة، فقد أقسم ﷻ بالعصر مرّة واحدة دون أن يقرنه بمقسَم به آخر. وقد ذكر المفسّرون «للعصر» معاني كثيرة، ولكن المعنى الّذي يرتبط بجواب القسم هو الدهر أو الزمان؛ حيث إنّ الحلف بالزمان يتناسب مع الجواب؛ أي: خسران الإنسان فى الحياة.

يقول السبحاني:

> **والمراد من الخسران هو مضيّ أثمن شيء لديه وهو عمره. فالإنسان في كلّ لحظة يفقد رأس ماله بنحو لايُعوَّض بشيء أبداً، وهذه هي سنّة الحياة الدنيوية؛ حيث ينصرم عمره ووجوده بالتدريج، كما تنصرم طاقاته إلى أن يهرم ويموت. فأيّ خسران أعظم من ذلك؟! وأمّا الصلة بين المقسم به والمقسم عليه فأوضح من أن يخفى؛ لأن حقيقة الزمان حقيقة متصرّمة غير قارّة. فهي تنقضي شيئاً فشيئاً. وهكذا الحال في عمر الإنسان، فيخسر وينقص رأس ماله بالتدريج. ثمّ إنّه ﷻ استثنى من الخسران من آمن وعمل صالحاً وتواصى بالحق وتواصى بالصبر** (١٣٨٧هـ. ش، ص ٧٥).

نحن لا نجد قسَمَاً فى القرآن الكريم إلا وهناك بين المقسم به والمقسم‌عليه تناسق وتناسب وصلة وثيقة جداً.

٣. الصلة بين أقسام السورة ومضمونها

استهلال الكلام بما يشير إلى موضوعه والغرض المقصود منه من أساليب التعبير البليغ، ويسميه علماء البلاغة «براعة الاستهلال» و «حسن الابتداء»، وهو أن يشتمل أول الكلام على ما يناسب حال المتكلّم فيه، ويشير إلى ما سيق الكلام لأجله.

إن كل السور التي يقسم ﷻ فيهن سور مكية تتضمن موضوعات بالَغ الجاهليون في تنكيرها؛ كأصول الدين والاعتقاد، ويقتضى حال المخاطب تؤكيد الكلام. فالقسم في ابتداء هذه السور يمكن أن ننعته ببراعة الاستهلال أو حسن الابتداء، وموضوع كل هذه السورة يدور حول مفهوم هذا القسم.

فمثلاً في بداية سورة «يس» يقسم ﷻ قائلاً: ﴿**يس ۞ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ۞ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ**﴾ (يس ٣٦: ١ـ٣). فإذا درسنا موضوع هذه السورة دراسة دقيقة، نجد أن مضمونها يدور حول محور القسم وجواب القسم الذي تلاه؛ أي: إن مضمونها يدور حول كون القرآن حكيماً وحول إرسال الرسل وبيان قصصهم.

ومن ذلك سورة «ص» التي افتتحت بقوله تعالى: ﴿**ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ**﴾. فقد وصف الله ﷻ القرآن في هذا القسم بأنه ذو ذكر، إشارة إلى أن السورة تدور ـ في جزء كبير منها ـ على الذكر والتذكير. فحينما ندرس هذه السورة، نجد أن الذكر ومشتقاته تتكرر أكثر من عشر مرّات. وإليك هذه الآيات:

١. ﴿**ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ**﴾ (ص ٣٦: ١)؛

٢. ﴿**أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِن ذِكْرِي بَلْ لَمّا يَذُوقُوا عَذابِ**﴾ (ص ٣٦: ٨)؛

٣. ﴿**إِصْبِرْ عَلى ما يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنا داوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوّابٌ**﴾ (ص ٣٦: ١٧)؛

٤. ﴿**كِتابٌ أَنزَلْناهُ إِلَيْكَ مُبارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آياتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبابِ**﴾ (ص ٣٦: ٢٩)؛

٥. ﴿فَقالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتّى تَوارَتْ بالْحِجابِ﴾ (ص ٣٦: ٣٢)؛

٦. ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنا أَيُّوبَ إِذْ نادى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطانُ بنُصْبٍ وَعَذابٍ﴾ (ص ٣٦: ٤١)؛

٧. ﴿وَوَهَبْنا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنّا وَذِكْرى لِأُولي الْأَلْبابِ﴾ (ص ٣٦: ٤٣)؛

٨. ﴿وَاذْكُرْ عِبادَنا إِبْراهيمَ وَإِسْحقَ وَيَعْقُوبَ أُولي الْأَيْدي وَالْأَبْصارِ﴾ (ص ٣٦: ٤٥)؛

٩. ﴿إِنّا أَخْلَصْناهُمْ بخالِصَةٍ ذِكْرَى الدّارِ﴾ (ص ٣٦: ٤٦)؛

١٠. ﴿وَاذْكُرْ إِسْماعيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيارِ﴾ (ص ٣٦: ٤٨)؛

١١. ﴿هذا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾ (ص ٣٦: ٤٩)؛

١٢. ﴿إِنْ هُوَ إِلّا ذِكْرٌ لِلْعالَمينَ﴾ (ص ٣٦: ٨٧).

أهداف الأقسام ووظائفها

وردت في القرآن الكريم أقسام نجد فيما بينها وبين الأقسام التي يقسم بها الإنسان فرقاً شاسعاً. يقسم الناس لأغراض شتى. منهم يقسمون لإقناع الآخرين وإثبات كلامهم، ومنهم يحلفون لخداع الآخرين، إلى غير ذلك من الأغراض، لكن الأقسام القرآنية ليست من هذه الألوان؛ لأنّ القسم نفسه لا يليق بجلالة الله []؛ فإن الذي يحلف على قوله، يُهين نفسه ويضعها موضع من لا معوَّل على حديثه، وقد جاء في القرآن: ﴿وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلّافٍ مَهينٍ﴾ (القلم ٦٨: ١٠)، فجعل الحلف من الصفات المذمومة، ونهى المسيح عليه السلام الحواريين عن الحلف مطلقاً، فقال لهم: «**لِيَكُنْ قَولُكم نعم نعم أو لا لا، ولا تحلفوا**» (السبحاني، ١٣٨٧هـ. ش، ص ٩).

والقسم في القرآن جاء على أمور مهمة، كالمعاد والتوحيد والرسالة. فقد قيل: ما معنى القسم منه تعالى؟ إن كان لأجل الكافر، فلا يفيده؛ لأنه لا يؤمن بها، إنه يطلب الدليل والبرهان، والقسم ليس فيه شيء منه، ولا تأكيد فيه للمؤمن بها، فالمؤمن مصدق بمجرد الإخبار من غير قسم (الزركشي، ب ١٩٧٧م، ص ٤١). والقسم يجب أن يكون بالذي عظُم وجلَّ. وقد قال النبي []: «**إنّ الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم. ومن كان حالفاً، فليحلفْ بالله أو ليصمتْ**» (القزويني، ١٣٧٢هـ، ص ٢٧٧؛ الترمذي، ١٣٥٨ هـ، ص ١٠٩)، فنهى عن القسم بغير الله. فكيف يليق به تعالى أن يقسم بالمخلوق ولا سيما بأشياء مثل التين والزيتون؟! إذن لِمَ يقسم الله بمخلوقاته والظواهر الكونية؟ لأيّ مخاطب يقسم؟ وما الغرض من هذه الأقسام؟ سنجيب عن هذه الشبهات والأسئلة فيما يلي.

الغرض من هذه الأقسام يرجع إلى أمور، منها:

١. التوكيد

أوّل شيء نفهمه من القسم هو التوكيد، وهو من أعم فوائد الأقسام القرآنية وأشهرها. والتوكيد موجود في كل أساليب القسم فى القرآن، وإن كان ينضم إليه غرض أو أغراض أخرى.

نزل القرآن الكريم على قلب الرسول بلغة العرب لهداية الناس، وقد اتبع في ذلك أساليبهم ومناهجهم في البيان؛ إذ قال الله تعالى: ﴿إِنّا جَعَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (الزخرف ٤٣: ٣)؛ وفي سورة يوسف يقول: ﴿إِنّا أَنْزَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (يوسف ١٢: ٢). ومن أساليب هذه اللغة توكيد الكلام الموجّه إلى المخاطب المنكر أو الشاكّ المتردد.

وأشار النحاة أيضاً إلى أن القسم أحد الأساليب المؤكدة للكلام. قال سيبويه: «**اعلم أن القسم توكيد لكلامك**» (١٩٧٧م، ص ١٠٤)، وهو «**يمين يُقسم بها الحالف ليؤكّد بها شيئاً يخبر عنه من إيجاب أو جحد**» (ابن سيده، ١٣٢١هـ، ص ١١٠). والغرض من هذا التؤكيد إزالة الشك عن المخاطب بتوكيد الخبر في النفي والإثبات (ابن يعيش، ب د ت، ص٩٠).

وللقسم عند النحاة صورة خاصة؛ فهو جملة يؤتى بها لتوكيد جملة أخرى، وهو في الأصل خبر جيء به لتوكيد خبر آخر؛ ولذلك جاءت جملته «**على جهة ما تكون عليه الأخبار. فكما أن الجمل التي هي أخبار تكون من الفعل والفاعل، والمبتدإ والخبر، كذلك كانت الجملة التي هي قَسَم على هذين الوجهين**» (الفارسي، ١٤٠٣هـ، ص ١٢٣)، فجاءت فعلية واسمية، فالفعلية كقولك: أقسم بالله، وأحلف بالله؛ والاسمية كقولك: لَعَمرك، وايْمُنُ الله عليّ، على ما سيأتي في تفصيل جملة القسم.

ولا يعد مثل هذا التركيب قسماً إلا إذا قصد به توكيد الخبر بعده. فإن لم يقصد به ذلك كان خبراً كسائر الأخبار؛ وذلك أن

> **عقد الخبر خلاف عقد القسم؛ لأنك إذا قلت: أحلف بالله، على سبيل الخبر، كان بمنزلة العِدَة؛ كأنك ستحلف، وكذلك إذا قلت: حلفت، فإنك قد أقسمت فيما مضى، وهو بمنزلة النداء. إذا قلت: يا زيد، فأنت مناد غير مخبر. ولو قلت: أنادي أو ناديت، كان على خلاف معنى يا زيد. فكذلك هذا في القسم. فكما أنك إذا قلت: أنادي، ونويت النداء، لم يكن النداء مخبراً، فكذلك إذا قلت: أحلف بالله، أو أقسم، ونويت القسم، كنت مقسماً ولم تكن مخبراً** (ابن يعيش، ب د ت، ٩٠ـ٩١).

فتبين من هذا أن ما جاء بلفظ الخبر لا يكون قسماً إلا إذا تضمن معنى الإنشاء للقسَم ليؤكد به شيء آخر، لا أن يراد به مجرد الإخبار عن قسم وقع أو قسم سيقع؛ لأنه عندئذ لا يسمى قسماً. ولذلك قال ابن جني: «**القسم جملة إنشائية يؤكد بها جملة أخرى**» (البغدادي، عبدالقادر، ١٩٧٩م، ص ٤٧).

وجملة القسم لا تستقل بنفسها، حتى تتبعها جملة أخرى يراد توكيدها بالقسم؛ فتقول: أقسم بالله لأفعلن. «**لأن القسم إنما تجيء به للتوكيد، وهو وحده لا معنى له لو قلت: والله، وسكتّ، أو بالله، ووقفتَ. لم يكن لذلك معنى حتى تقسم على أمر من الأمور**» (ابن سراج، ١٤٠٥هـ، ص ٤٣١).

يقول الفخر الرازي في ذيل سورة الصافات:

> **إنه تعالى قرر التوحيد وصحة البعث والقيامة في سائر السور بالدلائل اليقينية، فلما تقدم ذكر تلك الدلائل، لم يبعد تقريرها، فذكر القسم تأكيداً لما تقدم، لا سيما والقرآن إنما أنزل بلغة العرب، وإثبات المطالب بالحلف واليمين طريقة مألوفة عند العرب».**
>
> (٢٠٠٠م، ص ١١٨)

وفي هذا المجال يقول أحمد بدوي (١٩٥٠م):

> **«لجأ القرآن الكريم إلى القسم جرياً على عادة العرب في تؤكيد الأخبار، لتستقر في النفس، ويتزعزع فيها ما يخالفها. وإذا كان القسم لا ينجح أحياناً في حمل المخاطب على التصديق، فإنه كثيراً ما يوهن في النفس الفكرة المخالفة، ويدفع إلى الشك فيها، ويبعث المرء على التفكير الجادّ والقوي فيما ورد القسم من أجله** (ص ١٧٠).

٢. بيان عظمة المقسَم به وقدسيته

إنّ الغاية من القسم هي تحقيق الخبر ودعوة المخاطب إلى الإيمان والإذعان به كما هو الغالب؛ وبعبارة أخرى، إن الغرض الأصلي من أقسام القرآن هو تحقيق المقسم عليه أو جواب القسم، ولكنه في بعض الأحيان يكون توجيه النظر إلى عظمة المقسمبه، وما يكمن فيه من أسرار ورموز، أو بيان قدسيته وكرامته. يقول سيد قطب في ذيل الآية: ﴿**يس ۞ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ۞ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ**﴾:

«**وما به ﷻ من حاجة إلى القسم، ولكن هذا القسم منه ﷻ بالقرآن وحروفه يخلع على المقسَم به عظمة وجلالاً. فما يقسم الله ﷻ إلا بأمر عظيم، يرتفع إلى درجة القسم به واليمين**» (قطب، آ ١٩٦٧م، ص ١٠).

ويضيف أيضاً في سورة القلم في ذيل الآية: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾: «**فأما القسم بها، فهو تعظيم لقيمتها، وتوجيه إليها في وسط الأمة التي لم تكن تتجه إلى التعلم عن هذا الطريق، وكانت الكتابة فيها متخلفة ونادرة، فى الوقت الذي كان دورها المقدر لها في علم الله يتطلّب نموّ هذه المقدرة فيها**» (قطب، ب ١٣٦٧ م، ص ٢١٩).

ويقول الزركشي فى الجواب عن الشبهة:

> **كيف أقسم الله سبحانه بمخلوقاته وقد نهانا عن القسم بمخلوق؟! أحدها. على تقدير أنه حُذف مضافٌ؛ أي: وربِّ الفجر، وربِّ التين وكذلك الباقي. والثاني. أن العرب كانت تعظم هذه الاشياء وتقسم بها، فنزل القرآن على ما يعرفون. والثالث. أن الاقسام إنما تجب بأن يُقسم الرجل بما يعظمه أو بمن يُجلّه وهو فوقه، والله تعالى ليس شيء فوقه؛ فأقسم تارة بنفسه وتارة بمصنوعاته؛ لأنها تدل على بارئ وصانع** (الزركشي، ب ١٩٧٧م، ص ٤٠).

وذكر الإشبيلي أن «**المقسم به ... كل اسم لله أو لما يعظم من مخلوقاته**» (الإشبيلي، آ ١٩٨٦م، ص ٥٢٢)، وقال: «**اعلم أن المقسم به كل اسم معظم، كانت العرب تحلف بآبائها فتقول: وأبي، وتقول: ورأسي، إلا أن الشرع منع أن يحلف الرجل بغير الله**» (المصدر نفسه، ب ١٩٨٦م، ص ٩٢٣).

وواضح في هذه النصوص الربط بين المقسم به ومعنى التعظيم، وهو الأمر الذي نشأ عن الاعتقاد بأن القسم إنما يكون لتعظيم المقسم به. ومن ثم حاول بعض العلماء من النحاة والمفسرين تفسير القسم بالمخلوقات في القرآن الكريم بأنه تعظيم خالقها؛ لأن تعظيم المخلوق تعظيم لخالقه، فإن في تعظيم الصنعة تعظيم الصانع.

ويشير النحاة الى أن الغرض من القسم يختلف باختلاف المقسم به. فالأصل أن يقسم المرء بما هو عظيم إذا أراد التوكيد. فإن لم يُرد ذلك، أقسم بما لا يعظم بغرض آخر. ولعل الأخير مما يعده البلاغيون أحد فنون البديع، وهو ما خصه بعضهم بمصطلح «الاقتسام»[1]، وهو ضرب من النسق القسمي لا يريد به المتكلم تأكيد المقسم عليه، وإنما يورده على سبيل الفخر، أو التغزل، أو المدح، أو الهجاء، أو غير ذلك من الأغراض التي يرومها.

وهذا الذي ذكره بعض النحاة يتضمن الإشارة إلى قيمة عظمة المقسم به في توكيد المقسمعليه، وهي قيمة تفسر سر دخول معنى التعظيم في القسم، وذلك أن المقسم كثيراً ما يلجأ إلى اختيار ما هو عظيم فيقسم به؛ لأن في عظمة المقسم به ما يشعر بعظمة المقسم عليه في نفس المقسم، أو أن المقسم يلجأ إلى ذلك لإشعار مخاطبه بعظمة ما يقسم عليه، فلما كثر ذلك في القسم دخل في ظن بعض العلماء أن التعظيم أصل في دلالة القسم، ومن ثم بنيت على هذا الظن أكثر آراء النحاة والمفسرين خاصة في تفسير القسم القرآني.

من كل ما تقدم يبدو أن بعض المفسرين والنحويين ظنّ أن القسم يكون مشتملاً على تعظيم المقسمبه لا محالة، مع أن الأمر ليس كذلك. فقد أشرنا آنفاً إلى أن أصل القسم ليس فيه شيء من التعظيم، إنما يفهم تعظيمه مما ينضمّ إليه أو من بعض ما يحيط بالقسم. يقول عبد الحميد الفراهي: «**فأما معنى تعظيم المقسم به، فذلك مما انضمّ إليه في بعض الأحوال، فهو من عوارض القسم**» (الفراهي، ١٣٤٩هـ، ص ١٩).

---

١. انظر على سبيل المثال: *بديع القرآن*، ص ١١٢.

٣. إقامة الحجة والاستدلال ومجابهة الإنكار

يبدو لنا ـ وربما أشار إليه القدماء ولكننا لم نعثر عليه ـ أن خاصية أقسام القرآن كخاصية التشبيه. فى التشبيه يستدل بأمور محسوسة لإثبات أمور غير محسوسة ؛ كقوله تعالى : ﴿**وَالَّذينَ كَفَرُوا أَعْمالُهُمْ كَسَرابٍ بِقيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ ماءً حَتّى إِذا جاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللّهَ عِندَهُ فَوَفّاهُ حِسابَهُ وَاللّهُ سَريعُ الْحِساب**﴾ (النور ٢٤ : ٣٩). وهذا الاستدلال نجده أيضاً واضحاً فى الأقسام القرآنية ؛ إذ يعبّر بصور مادية وواقع مشهود على صور أخرى معنوية وحقائق غير مشهودة ؛ لأن الأمور الحسية لا جدال فيها ولا يمكن إنكارها.

وهكذا ذهب بعضهم إلى أن كل الأقسام بالمخلوقات هي أقسام استدلالية، لا كما ذهب بعضهم إلى القول بأنّها تعظيم وتقديس للمقسم به من هذه المخلوقات (الفراهي، ١٣٤٩هـ، ص ٢٧) ؛ نحو قوله ﷻ في سورة الشمس. فيقسم ﷻ أولاً بالشمس والقمر المادّيَّين المشهودَين لكل شخصٍ ؛ أي : ليس لأحد أن ينكرهما. ويقسم بالنهار والليل ؛ أي : يقسم بالنهار الذي تشرق فيه الشمس وبالليل الذي يطلع فيه القمر. ويقسم بالسماء التي تحيط بالشمس والقمر والقادر الذي بناها. ويقسم بالأرض والعظيم الذي بسطها. وأخيراً يقسم ﷻ بالنفس الذي عدل خلقها. يقسم بهذه الأمور المادية الواضحة، ويقسم بالنفس، ويقسم بذاته تعالى لإثبات قوله ﷻ : ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكّاها ۞ وَقَدْ خابَ مَن دَسّاها**﴾، وهي نفس غير محسوسة، وهي من الأمور المعنوية.

وفي هذا تقول عائشة بنت الشاطئ : «**[إن] ظاهرة أسلوبية أخرى من البيان المعجز هي البدء بواو القسم**». وبعد الإتيان ببعض الأمثلة من القرآن الكريم تقول :

> **وقد اتجه بها المفسرون أو جمهرتهم، فيما أعلم، إلى تعظيم المقسَم به. ثم مضَوا يلتمسون وجه العظمة في كل ما تلا الواو. وأكثر ما ذكروه من ذلك يدخل في الحكمة، وهي تختلف تماماً عن العظمة ... ما السرّ البياني لهذا البدء بواو القسم؟ وبين مألوف التعبير بصريح القسم : أقسم بالضحى، وبالليل إذا سجى. فهل العدول عن" أقسم بالنجم" إلى "والنجم" لا يعطي أي تلحّظ بياني؟!... والذي اطمأننت إليه بعد طول التدبر بسياق الآيات المستهلة بالواو، هو أن هذه الواو قد خرجت عن أصل معناها اللغوي الأول في القسم للتعظيم إلى معنى بلاغي، هو اللفت بإثارة بالغة إلى حسّيّات مدركة لا تحتمل أن تكون موضع الجدل والمماراة وتوطئة إيضاحية لبيان معنويات يُمارى فيها، أو تقرير غيبيات لا تقع في نطاق الحسّيّات والمدركات** (بنت الشاطئ، ١٣٩١هـ، ص ٢٣٢).

يقول العلامه الطباطبائي في ذيل سورة «المرسلات» :

> **المقسم به حجّة على مضمون الجواب، كأنّه قيل : "أقسم بهذه الحجّة أن مدلولها واقع". وإذا تأمّلت الموارد الّتي أُورد فيها القسم في كلامه تعالى وأمعنت فيها، وجدت المقسم به فيه حجّة دالّة على حقّيّة الجواب؛ كقوله تعالى في الرزق ﴿فَوَرَبِّ السَّماء وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ ما أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ ؛ فإن ربوبيّة السماء والأرض هي المبدء لرزق المرزوقين. وقوله : ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ ؛ فإنّ حياة النّبي ﷺ الطاهرة المصونة بعصمة من الله دالّة على سَكرهم وعَمَههم. وقوله : ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحاها﴾ إلى أن قال : ﴿وَنَفْسٍ وَما سَوّاها ۞ فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَتَقْواها ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكّاها ۞ وَقَدْ خابَ مَن دَسّاها﴾ ؛ فإن هذا النظام المتقن المنتهي إلى النفس الملهمة المميّزة لفجورها وتقواها هو الدليل على فلاح من زكّاها وخيبة من دسّاها. وعلى هذا النسق سائر ما ورد من القسم في كلامه تعالى، وإن كان بعضه لا يخلو من خفاء يحوج إلى إمعان في النظر. وعليك بالتدبّر فيه.**
> (الطباطبائي، ب ١٣٩٧هـ، ص ٢٤١ـ٢٤٢).

وقال القلقشندي (١٣١٩هـ) : «**ورد في القرآن الكريم أقسام أقسم الله تعالى بها إقامة للحجة على المخالف بزيادة التأكيد في القسم**» (ص ٢٠٠).

وفي هذا المعنى يقول الفراهي ما هو خلاصته في كتابه *الإمعان في أقسام القرآن* :

إن القسم إذا كان مجرداً عن المقسم به ـ لأنه ليس من لوازمه ـ فإنما يراد به تأكيد قول أو إظهار عزم وصريمة ... أما إذا أقسم بشيء ، فإن المقصود هو الإشهاد حتى في الأيمان الدينية. وإنما اختلط به معنى التعظيم من جهة المقسم به لا من جهة أصل معنى القسم... وربما يكون القسم لمحض الاستدلال. أما أقسام القرآن ، فليست إلا للاستدلال والاستشهاد بالآيات الدالة.

النتيجة :

أولاً. إن موضوع تناسب القسم بحاجة إلى دراسة خاصة تجمع شتاته وتبرز قيمته الجمالية والبيانية. وبلاغة القرآن تقتضي أن يكون هناك تناسب وعلاقة بين الأقسام الّتي وردت متوالية. بمعنى أنه حينما يقسم الخالق بأمور متعددة في آية واحدة أو في آيات متوالية ، يجب ان يكون هناك تناسب وعلاقة بين هذه الأقسام ؛ لأنه لا يمكن أن ينفك بعضها عن الآخر.

ثانياً. إذا رجعنا إلى الأقسام القرآنية وأجوبتها ، وجدنا ملائمة شديدة بينهما ، وأدركنا أن المناسبة قوية بين المقسم به والمقسم عليه. وهذا يؤكد على أنها أقسام استدلالية ؛ لأننا لا نجد قسَماً في القرآن الكريم إلا وبين المقسم به والمقسم عليه معنى متناسق وصلة وثيقة جداً.

ثالثاً. إذا درسنا السور التي يقسم في بدايتها دراسة دقيقة ، نجد أن مضامينها تدور حول محور الأقسام وأجوبتها التي جاءت في بداياتها ؛ أي : إن مضمون كل سورة يدور حول أسلوب القسم الذي استهلّت به.

رابعاً. إن أوّل شيء نفهمه من القسم هو التأكيد ، وهو من أعم فوائد الأقسام القرآنية وأشهرها. فإنه موجود في كل أساليب القسم فى القرآن ، وإن كان يوجد معه غرض أو أغراض أخرى. أما الغاية الرئيسية منه ، فهي تحقيق الخبر ودعوة المخاطب إلى الإيمان والإذعان به ـ كما هو الغالب ـ ، ولكنه في بعض الأحيان يكون لتوجيه النظر إلى عظمة المقسم به ، وما يكمن فيه من أسرار ورموز ، أو لبيان قدسيته وكرامته.

❋❋❋

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. الإشبيلي ، عبيدالله بن أحمد. (آ ١٩٨٦م). ***البسيط في شرح جمل الزجاجي***. (تحقيق عياد بن عيد الثبيتي). (ج ١). بيروت : دار الغرب الإسلامي.

٢. ـــــــــــــــــ. (ب ١٩٨٦م). ***البسيط في شرح جمل الزجاجي***. (تحقيق عياد بن عيد الثبيتي). (ج ٢). بيروت : دار الغرب الإسلامي.

٣. ابن أبي الإصبع ، عبدالعظيم بن عبدالواحد. (٢٠١٠م). ***البرهان في إعجاز القرآن أو بديع القرآن***. (تحقيق أحمد مطلوب ، وخديجة الحديثي). بيروت : الدار العربية للموسوعات

٤. ابن السراج بن السري. (١٤٠٥هـ). ***الأصول في النحو***. (تحقيق عبد المحسن الفتلي). (ط ١). بيروت : مؤسسة الرسالة.

٥. ابن سيده ، علي بن إسماعيل. (١٣٢١هـ). ***المخصص***. (ج ١٣). القاهرة : المطبعة الكبرى الأميرية بولاق

٦. ابن قيّم الجوزية، محمد بن أبي بكر. (١٩٣٣م). ***التبيان في أقسام القرآن***. (تصحيح محمد حامد الفقي). (ط ٢). القاهرة: مطبعة الحجازي.

٧. ابن هشام، عبدالله بن يوسف. (د ت). ***مغني اللبيب عن كتب الأعاريب***. (تحقيق مازن مبارك، ومحمدعلي حمد الله). (مراجعة سعيد الأفغاني). (ج ٢). (ط ٢). بيروت: دار الفكر.

٨. ابن يعيش، علي. (آ د ت). ***شرح المفصل***. (ج ٨). القاهرة: مكتبة المثنى.

٩. ـــــــــــــــــ . (ب د ت). ***شرح المفصل***. (ج ٩). القاهرة: مكتبة المثنى.

١٠. أحمد بدوي، أحمد. (١٩٥٠م). ***من بلاغة القرآن***. القاهرة: مطبعة نهضة.

١١. الباقلاني، محمد بن الطيب. (١٩٨١م). ***إعجاز القرآن***. (تحقيق أحمد صقر). (ط ٥). القاهرة: دار المعارف.

١٢. البغدادي، محمد بن حيدر. (١٤٠١هـ). ***قانون البلاغة في نقد النثر والشعر***. (تحقيق محمد غياض عجيل). (ط ١). بيروت: مؤسسة الرسالة.

١٣. البغدادي، عبدالقادر بن عمر. (١٩٧٩م). ***خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب***. (تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون). القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

١٤. بنت الشاطئ، عائشة عبدالرحمن. (١٩٧١م). ***الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق***. القاهرة: دار المعارف.

١٥. ـــــــــــــــــ. (د ت). ***التفسير البياني للقرآن الكريم***. (ط ٦). القاهرة: دار المعارف.

١٦. الترمذي، محمد بن عيسى. (١٣٥٨هـ). ***السنن***. (تعليق عزت عبيد الدعاس). (ج ٤). بيروت: مكتبة دار العودة.

١٧. التفتازاني، مسعود بن عمر. (١٣٠٨هـ.). ***المطول على التخليص***. دون محل: دار السعادات.

١٨. الرازي، فخرالدين عمر بن الحسن . (٢٠٠٠ م). ***مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)***. (ج ٢٦ـ مجلد ١٣). (ط ١). بيروت: دار الكتب العلمية.

١٩. رضي الأسترآباذي، محمد بن الحسن. (د ت). ***شرح الكافية***. بيروت: دار الكتب العلمية.

٢٠. الزركشي، محمد بن عبدالله. (آ ١٩٧٧م). ***البرهان في علوم القرآن***. (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم). (ج ١). (ط ٣). بيروت: دار المعرفة.

٢١. ـــــــــــــــــ. (ب ١٩٧٧م). ***البرهان في علوم القرآن***. (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم). (ج ٣). (ط ٣). بيروت: دار المعرفة.

٢٢. الزمخشري، محمود بن عمر. (آ ١٣٩٧هـ.). ***الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل***. (ج ٢). (ط ١). بيروت: دار الفكر.

٢٣. ـــــــــــــــــ. (ب ١٣٩٧هـ.). ***الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل***. (ج ٤). (ط ١). بيروت: دار الفكر.

٢٤. زهير بن أبي سلمى. (١٣٨٤هـ). ***ديوان***. بيروت: دار الصادر.

٢٥. السامرائي، فاضل. (١٩٨٩م). ***التعبير القرآني***. مطابع جامعة الموصل.

٢٦. السبحاني، جعفر. (١٣٨٧هـ.ش). ***الأقسام في القرآن الكريم***. قم: تبيان.

٢٧. سيبويه، عمرو بن عثمان. (١٩٧٧م.). ***الكتاب***. (تحقيق عبدالسلام محمد هارون). (ج ٣). (ط ٢). القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٢٨. السيوطي، عبدالرحمن بن أبي‌بكر. (آ ١٩٥٢م). **إعجاز القرآن** بهامش ***الإتقان في علوم القرآن***. (ط ٣). القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي .

٢٩. ـــــــــــــــــــ. (ب د ت). ***الإتقان في علوم القرآن***. (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم). القاهرة: مكتبة دار التراث.

٣٠. ـــــــــــــــــــ. (ج ١٣٥٨هـ.). ***شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان***. القاهرة: مطبعة البابي الحلبي وأولاده.

٣١. الشريف الرضي، محمد بن حسين. (١٣٨٠هـ.ش). ***نهج البلاغة***. (ترجمة محمد دشتي). (ط ١٣). قم: مؤسسة انتشارات مشهور.

٣٢. الطباطبائي، سيدمحمدحسين. (آ ١٣٩٧هـ). ***الميزان في تفسير القرآن***. (ج ١٨). طهران: دار الكتب الإسلامية.

٣٣. ـــــــــــــــــــ. (ب ١٣٩٧هـ). ***الميزان في تفسير القرآن***. (ج ٢٠). طهران: دار الكتب الإسلامية.

٣٤. الفارسي، الحسن بن أحمد. (١٤٠٣هـ). ***المسائل العسكرية***. (تحقيق ودراسة محمد الشاطر أحمد محمد أحمد). (ط ١). القاهرة: مطبعة المدني.

٣٥. الفراهي، عبدالحميد. (١٣٤٩هـ). ***إمعان في أقسام القرآن***. القاهرة: المطبعة السلفية ومكتبتها.

٣٦. القزويني، محمد بن يزيد ابن ماجة. (١٣٧٢هـ). ***سنن ابن ماجة***. (ج ١). بيروت: دار إحياء الكتب العربية.

٣٧. قطب، سيد. (١٩٦٧م). ***في ظلال القرآن***. (ج ٨). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٣٨. القلقشندي، أحمد بن علي. (١٣١٩هـ). ***صبح الأعشى في صناعة الإنشا***. (ج ١٣). القاهرة: المطبعة الأميرية.

٣٩. المبرد، محمد بن يزيد. (د ت). ***المقتضب***. (تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة). بيروت: عالم الكتب.